القائد الإسلامي غلام زرافة ونشاطه الحربي ضد الروم البيزنطيين أيام الدولة العباسية خلال القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي

Islamic leader Ghulam Zarah and his war activity against the Byzantine Romans during the Abbasid state during the third century AH / tenth AD

م.د. ياس خضير عباس

Lect. Dr. Yas Khudair Abbas

جامعة سامراء/ كلية التربية

University OF Samarra - College of Education

E-mail: Yzn240834@gmail.com

الكلمات المفتاحية: غلام زرافة، الروم، الدولة العباسية، تسالونيكا، البحر المتوسط، طرطوس.

Keywords: giraffe, Roman, Abbasid state, Tsalonica, Mediterranean, Tartous.

الملخص

يهدف البحث لإظهار شخصية حربية بحرية، اشتهرت في القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي خاصة كان لهذه الفترة التاريخية أهمية في تاريخ الدولة العربية الإسلامية خلال العصر العباسي وكانت فترة تاريخية ذهبية للقوات البحرية العربية الإسلامية فيها انجازات كبيرة على مستوى الحملات العسكرية البحرية فتقدمت وسيطرت على عدة مدن ساحلية بحرية تابعة للدولة البيزنطية، وان هذه الشخصية غفلت عن ذكرها المصادر العربية الإسلامية الا بالنزر اليسير، لندلو بدلونا ونجمع شتات المعلومات وفتاتها، من بين ثنايا تلك المصادر المتوفرة لدينا؛ لنجعلها في صفحات مقتضبة، لعلها تعطي صورة ناصعة لبطل من أبطال الإسلام، الذي لمع نجمه في أيام الدولة العباسية، التي حكمت ردحاً من الزمن، وامتدت سيطرتها على أرضٍ واسعة من البلدان، بعد أن أولت اهتماماً كبيراً بالقوة العسكرية، من أجل فتح البلدان ونشر الدين الإسلامي الحنيف، فكان ذلك الأمير البحري غلام زرافة الذي أشتهر بركوب البحر، وقيادة الأسطول الإسلامي، وتوجيه ضربات موجعة دكت حصون الدولة البيزنطية، عندما واصل عطاءه ونشاطه البحري في بحر الروم (البحر المتوسط) للذود عن حياض الدولة العربية الإسلامية، ضد الدولة البيزنطية، ولقنها دروساً في الحروب البحرية، ذاع صيتها في الآفاق.

Abstract

The research aims to show a naval war figure, which was famous in the third century AH / century AD, especially this historical period was important in the biography of the Arab Islamic state during the Abbasid era and a golden historical period for the Arab -Islamic Navy in which there are great achievements at the level of maritime military campaigns, so it advanced and controlled several cities Coastal marine belonging to the Byzantine state, and that this character was neglected by mentioning the Islamic Arab sources except with the easy enlightenment, among the folds of those sources available to us; Let us make it in brief pages, perhaps it gives a bright picture of the hero of Islam, whose star shined in the days of the Abbasid state, which ruled a period of time, and its control extended on a large land of countries, after it paid great attention to the military force, in order to open the countries and spread religion The true Islamic, that was the sea prince Ghulam Zaraza, who was famous for riding the sea, leading the Islamic fleet, and directing painful strikes, the fortresses of the Byzantine state, when he continued his giving and maritime activity in the Roman Sea (the Mediterranean) to defend the Arab Islamic State, against the Byzantine state, and taught it Lessons in marine wars, their reputation in the horizons.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على الصـادق الأمين سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين ومن سـار على نهجه وتمسـك بسـنته واقتدى بهديه وأتبعهم بإحسـان إلى يوم الدين، وبعد..

لقد شـهد التاريخ الإسـلامي وتحديداً في أيام الدولة العباسـية، ظهور قادة أبطال سـطروا أروع الملاحم البطولية ضـد أعداء الدولة وخاصـة ضـد الدولة البيزنطية، التي حاولت مراراً وتكراراً النيل من كيان الدولة الإسـلامية، فكان القائد غلام زرافة، الذي قدم خدمة جليلة في الإدارة والإمارة لخلفاء دولة بني العباس، وخاصـة خلال فترة حكم الخليفة المكتفي بالله العباسـي (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م) تلك الدولة التي لم تدخر جهداً عسـكرياً من شـأنه ان يحافظ على كيان الدولة الإسـلامية، وفي الوقت ذاته أخذ يوجه ضـربات قوية ضـد حصـون الدولة البيزنطية، فكان القائد الإسـلامي غلام زرافة، الذي أعتنق الدين الإسـلامي وترعرع في أحضـانه، تاركاً وراء ظهره دين الآباء والأجداد، الدين النصـراني، لينهل من نهر الإسـلام في حبه له والدفاع عنه والتضـحية في سـبيله بالغالي والنفيس، فكان حسـن السـيرة وادار الحروب، بعد أن أصـبح قائداً للثغور الإسـلامية، فقاد حملات حربية ضـد الأسـطول البيزنطي، حافظ من خلالها على الثغور وإدارتها على أكمل وجه، وامتاز بالشـجاعة والقيادة والحنكة العسـكرية، فكانت الدراسـة التي جاءت تحت عنوان (القائد الإسـلامي غلام زرفة ونشـاطه الحربي ضـد الروم البيزنطيين أيام الدولة العباسـية خلال القرن الثالث الهجري / العاشـر الميلادي) والهدف من تقديم هذا البحث هو لعدم وجود دراسـة أكاديمية سـابقة تناولت سـيرة هذا البطل المسـلم، الذي يعد من أبرز قادة العباسـيين المشهورين، فقد قسم البحث الى:

المبحث الأول: أسمه ولقبه وكنيته، ولادته وإسلامه، بزوغ نجمه:

أولًا: أسمه ولقبه وكنيته.

ثانيًا: ولادته وإسلامه.

ثالثًا: بزوغ نجمه.

المبحث الثاني: معركة تسـالونيكا ومقدمة تاريخية عنها ووصـف جغرافي لطبيعة العدو وأسـبابها وأحداثها ونتائجها:

أولًا: مقدمة تاريخية عن المعركة ووصف جغرافي لطبيعة العدو.

ثانيًا: أسباب المعركة.

ثالثًا: التوكل على الله -سبحانه وتعالى- وبناء الوحدة الداخلية للخروج للمعركة.

رابعًا: إعادة تأهيل الوسائل الدفاعية للأسطول البيزنطي والتحصينات العسكرية للمدينة.

خامسًا: الخطة العسكرية للقائد غلام زرافة وأحداث المعركة.

سادسًا: نتائج معركة تسالونيكا.

المبحث الأول: أسمه ولقبه وكنيته، ولادته وإسلامه، بزوغ نجمه.

اولاً: أسمه ولقبه وكنيته:

كما ذكرنا مسبقاً في الملخص أن المصادر العربية الإسلامية لا تذكره؛ الا بشيء قليل من المعلومات، وذكر أسمه معرباً، لاوي، ولاو، ولاون، ولاوي الطرابلسي، ولاوي الزرافي، وعرف ايضاً، ليو الطرابلسي، وأنه لقب، غلام زرافة، أو رشيق الورداني، ويكنى، أبا الحرث، أو أبا الحرب، وذكر أسمه معرباً، لاوي، ولاو، ولاون، ولاوي، الطرابلسي، ولاوي الزرافي (الطبري، ١٩٥٩، ٦٥٦).

ثانياً: ولادته وإسلامه:

ولد لأبوين يدينان النصرانية في مدينة أتاليا (أنطاليا وهي مدينة من المدن المشهورة في بلاد الروم، كبيرة المساحة والضخامة، أجمل ما يرى من البلاد، كثيرة العمارة والبنيان الحسن، فيها بساتين وفواكه وعيون الماء الجارية) (العمري، ٢٠٠٢، ٣١١)، ومنذ نعومة اظافره عرف أن الإسلام هو الدين الحقيقي، والدين النصراني ما هو الا دين مضلل ومحرف، فولدت لديه فكرت الدخول في الإسلام في وقت مبكر من عمره، وحاول والديه منعه من دخول الإسلام، لكنه تمكن من الإفلات منهم واللجوء إلى بحارة المسلمين، الذين يركبون البحار للتصدي للأساطيل البيزنطية للذود عن حياض المسلمين في الشواطئ الإسلامية، ورد كيدهم في الأرخبيل (بحر إيجة: هو ذلك البحر الذي يمتد ما بين جزيرة الأناضول وشبه جزيرة البلقان، وينتشر فيه أرخبيل اليونان) (العليم، ١٩٤٨، ٨٧)، وثغوره والجزر التي كانت تابعه له (عنان، ١٩٩٧، ٩٣).

ثالثاً: بزوغ نجمه:

أنتقل غلام زرافة منذ صغره من بلاده إلى مدينة طرابلس (وهي من المدن المشهورة على ساحل بحر الشام، تقع بين مدينة اللاذقية، ومدينة عكا) (الحموي، ١٩٩٥، ٢١٦)، في الشام لكي يستقر فيها ويترعرع في أحضان البحار على أظهر السفن الإسلامية، وتعلم الحربية في غياهب البحار بعد تلقيه دروساً في العسكرية، وشارك المسلمين في العديد من الحملات الجهادية في البحر، حتى عرف بصاحب طرابلس (ابن العميد، د.ت، ٣٩٩)، ولم يذكر تفاصيل تلك الحملات في المصادر، وكان خروجه ضمن مجموعة بحرية إسلامية، وعرف بخبرته وشجاعته الفذة والجراءة في القتال خاصة ضد الأسطول البيزنطي، وأشتهر بين المسلمين، وواصل غلام زرافة نشاطه البحري في قيادة الأسطول الإسلامي؛ حتى أصبح من القادة الكبار المشهورين المسلمين، وأنتقل بعد ذلك إلى مدينة طرسوس (وهي إحدى أهم المدن الجليلة في

الشـــام، تقع بين مدينة انطاكية، ومدينة حلب) (القزويني، د.ت، ٢١٩)، التي تعد من المراكز المهمة والمتقدمة في قتال البيزنطيين، عندما أصبحت القاعدة البحرية له ولرجاله ولسفنه وأنضم تحت لواءه أمهر وأشـجع البحارة المسـلمين؛ حتى صـارت له قوة بحرية عظيمة أدخلت الخوف والرعب في قلوب البيزنطيين (عنان، ١٩٩٧، ٩٣).

المبحث الثاني: معركة تسالونيكا ومقدمة تاريخية عنها ووصف جغرافي لطبيعة العدو.

أولاً: مقدمة تاريخية عن المعركة ووصف جغرافي لطبيعة العدو:

قبل البدء الحديث عن هذه المعركة لابد لنا أن ننوه بأن سـرد أحداث تلك المعركة وتفاصـيلها الدقيقة سـوف يكون بإسـهاب بغية الوصـول إلى هدف سـامي هو يخلد ذكرها في صفحات التاريخ الإسلامي المشرق لينهل منها الأجيال الدروس والعبر كابراً عن كابر، أذ واصل الأمير غلام زرافة حملاته البحرية الإسـلامية ضـد الدولة البيزنطية ؛ حتى أصـبح كابوس يقلق المضـاجع البيزنطية في الثغور، فكانت أعظم تلك الحملات التي خلدتها المصـادر الأجنبية قبل الإسـلامية، لكنها لم تكن في متناول اليد، هي معركة تسـالونيكا والتي حدثت بين المسـلمين والبيزنطيين (هي المدينة التي تقع على خليج سـالونيك من بحر إيجه، واليوم هي أحد مدن اليونان) (العليم،١٩٤٨، ٣٧)، في سنة (٢٩١هـ / ٩٠٤م) أقتحمها القائد المسلم غلام زرافة في خلافة المكتفي بالله العباسـي (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م)، (المسـعودي، د.ت، ١٥٣)، تلك المدينة التي عرفت المعركة باسـمها، وتعد من أعظم الثغور الرومية بعد مدينة القسـطنطينية من حيث الحماية والأموال ولطبيعتها المعروفة جعلت منها إقليم يشـتهر بالغنى والخصـوبة (القسطنطينية، هـي مدينة بيزنطة القديمة، وقد أطلق الإمبراطور قسطنطين الأكبر أسمه عليهـا، حين نقل عاصـمة الدولة الرومانية من مدينة روما بإيطاليا إليهـا عام (٣٢٤م)، وفي عام (٨٥هـ/ ١٤٥٣م) فتحهـا السلطان العثماني محمد الثاني (الفاتح) وأتخذهـا عاصمة للدولة العثمانية، وتقع على ضـفتي مضـيق البسـفور الأسـيوي والأوربي) (العليم، ١٩٤٨، ٢٤١)، التي اشتهرت بالحصون العظيمة، وتقع تسالونيكا على هضاب رومية تطل على رأساً لخليج ضيق لا تتمكن السفن البحرية السير فيه، ويفصل هذه المدينة عن ذلك الخليج سور كبير جداً يمتد مسافة طويلة في البحر، وتحمي المدينة القلاع الحصينة التي بنيت على مرتفعات شاهقة كانت متهالكة ومتداعية وكان سـورها قد تعرض للهدم في طرفها العلوي بتجاه البحر مما جعل للسـفن الغازية سهولة الحركة والسير صوب أسوار المدينة البيزنطية (عنان، ١٩٩٧، ٩٤).

ثانياً: أسباب المعركة:

يُعد تقدم القوات البيزنطية في عام (٢٩١هـ / ٩٠٤م) تجاه الحدود التابعة للدولة العربية الإسلامية أيام حكم الخليفة العباسي المكتفي بالله، وكان هذا التقدم سرًا دون ان يشعر المسلمون بذلك بقوات عسكرية كبيرة يقدر تعدادها ب (١٠٠,٠٠٠) عنصر، فتوغل هؤلاء إلى داخل المدن العربية الإسلامية وقاموا بقتل وأسر أعداد كثيرة من النساء والأطفال المسلمين، وفضلًا عن ذلك تعرض المسلمين لخسائر متكررة من قبل الأسطول الروماني أثناء حكم باسيل الأول (ابن الأثير، ١٩٩٧، ٥٤٠).

ثالثاً: التوكل على الله (ﷻ) وبناء الوحدة الداخلية للخروج للمعركة:

إن إرادة الله (ﷻ) فوق الجميع فقد أستعان غلام زرافة، بالله (ﷻ) ليخرج من مدينة طرطوس (بلد بالشام مشرفة على البحر المتوسط قرب المرقب وعكّا) (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ٣٠)، في أسطول إسلامي كبير من السفن البحرية المقاتلة بلغ تعداد ذلك الأسطول (٥٤) سفينة، وتحمل كل واحدة منها على متنها قرابة (٢٠٠) مقاتل تحت قيادة مجموعة من أمهر القادة والرؤساء، يرافقهم أبطال مسلمين شجعان امتهنوا القتال في المياه الإسلامية، وأنضم إلى جنابهم عدد من قرصان البحر في المياه الشرقية ، ولم تجرؤ القوات البحرية البيزنطية التي أرسلها الإمبراطور ليون السادس [هو ابن الامبراطور الروماني باسيل الأول الذي تولى حكم الاسرة المقدونية (٨٨٦– ٩١٢م)] (فرج، ١٩٩١، ٣٥) لحماية ثغورهم لكنها لم تتمكن من لقاء الأسطول الإسلامي الذي أتجه نحو بلاد الروم طارداً الأسطول البيزنطي (عنان، ١٩٩٧، ٩٥)، حتى مضيق الهيليس (الدردنيل: هو مضيق وممر مائي، يمثل المدخل الجنوبي لبحر مرمرة، طولة (٦٤كم) وعرضه (٦ كم)، كان يعرف باسم هلسبونتوس، ويصل بحر إيجة ببحر مرمرة، ويفصل بين شبه جزيرة جاليبولي والواقعة في الجزء الأوربي من تركيا، والجزء الآسيوي من تركيا) (المصري، د.ت، ٣٤١)، ثم رجع إلى جزيرة ثاسوس (أو خيوس وهي أحدى الجزر اليونانية التي تقع شرق بحر إيجة بالقرب من ساحل آسيا الصغرى) (خلف، ٢٠٢١، ١٤٨).

رابعاً: إعادة تأهيل الوسائل الدفاعية للأسطول البيزنطي والتحصينات العسكرية للمدينة:

حاول القائد بترونـاس [هو القائد البيزنطي الذي ارسله الامبراطور ليو السادس للدفاع عن مدينة ستالونيك] (العدوي، ١٩٦٥، ١٢٩) أن يتصدى للسفن الإسلامية بخطة عسكرية محكمة بأن يضع الكثير من الصخور الكبيرة الحجم وألواح الرخام التي كانت تزين بها قبور اليونان في المياه القريبة من أسوار مدينة تسالونيكا لكي يعرقل حركة السفن الإسلامية وفي نفس الوقت يعرضها لنبال ونيران اليونانيين اما سكان مدينة تسالونيكا قد وضعوا مطلق الثقة في القديس ديمتريوس [هو أحد القساوسة صاحب الكنيسة الموجودة في ثاني أكبر مدينة في الإمبراطورية

البيزنطية مدينة سالونيك](عنان، ١٩٩٧، ٩٥) لحماية مدينتهم ورد أي خطر تتعرض له المدينة، وفي تلك الأحداث توفى قائد الأسـطول البيزنطي (بتروناس) فجأة فتسـلم القيادة بدل عنه القائد (نيكيتاس) الذي عمل بجهد كبير على إعداد الوسـائل الدفاعية، وجاء بجنود من (الصـقالبة أو الموالي: هم عبيد وأرقاء ومنهـم عدة أمم، فمنهـم النصارى، ومن يقولون بالمجوسية ويعبدون الشمس، ولهـم بحر حلو يجري من الشمال إلى الجنوب، وبحر آخر يجري من المشرق إلى المغرب حتى يتصل ببحر آخر يأتي من ناحية البلغر، وفي بلادهـم أنهـار كثيرة، وأكثر قبائلهـم مجوس يعبدون الشمس، ولهـم مدن كثيرة وبلاد، والعديد من الكنائس، اشتهـروا بالصناعة، وعندهـم سبعة أعياد في السنة بأسماء الكواكب، أجلهـا عيد الشمس) (المسعودي، ١٩٩٧، ٩٢)، لكن لازال الرعب يدب بين سـكانهم خوفاً من بطش غلام زرافة وأنهم لم ينزعوا الثقة في القديس ديمتريوس فذهبوا مسـرعين إلى الكنيسـة عند هذا القديس منهمكين في الصـلاة ليلًا نهارًا، الذي كان في ثاسوس ليعيد إصلاح السفن الحربية وأسلحته مثل: (المنجنيق: وهي من أدوات الحرب القديمة، بفتح الميم وكسرها، وهو: آلة حربية من آلات الحصار، كانت ترمى بها الحجارة وغيرها من القذائف، وكانت بداياته الأولى عبارة عن قاعدة خشـبية سـميكة مسـتطيلة الشـكل، يرتفع في وسـطهـا عمود خشـبي، ركب في أعلاه ذراع المنجنيق، لقذف القذائف المختلفة بواسـطة حبال وأوتار سميكة لتوليد طاقة كافية لعملية القذف، بواسطة رافعة للمنجنيق، وهـو لفظ فارسي معرب) (عريشي، ٢٠٠٤، ٤٧٨)، وغيرها من الأسلحة، وفي سنة (٢٩١هـ / ٩٠٤م) وصل الخبر في المدينة، بأن المسـلمين المقاتلين قد تقدموا تجاه الخليج، فأضـطرب السـكان، وأرتفع عويلهم وصراخهم، وتجهزوا لقتال المسلمين، بين دموع النساء والأطفال، ووصلت سفن المسلمين الحربية سـاحل المدينة ؛ لكنها لم تسـطيع أن ترسـي فيه؛ كونه محمي بالسـلاسـل الضـخمة بين ضـفتي الخليج، وحال بينها وبين دخول المدينة، وكان من بين التحصـينات التي أسـتخدمها أهل المدينة، هو أغرق العديد من سفنهم البحرية لتمنع الهجوم الإسلامي صوبهم (عنان، ١٩٩٧، ٩٥).

خامساً: الخطة العسكرية للقائد غلام زرافة وأحداث المعركة:

فأستطلع القائد غلام زرافة المدخل البحري للمدينة وتحصيناتها، فقام بهجوم سريع ليختبر تحصـيناتهم العسـكرية، ويعرف مدى اسـتعداد الأهالي للدفاع عنها، وفي اليوم الثاني هاجم المقاتلون المسلمون شرق المدينة، لاقتحام سورها المحصن بنصب العديد من السلالم، والمجانيق؛ لكنهم لم يتمكنوا أمام ضـربات البيزنطيين المكثفة بالحجارة والسـهام، ليلجأ القائد غلام زرافة في حينها، إلى خطة أخرى، أذ بعث طلائع من جنوده بحراقات، كانت مغطاة حتى لا تصـل إليها نار العدو، أضـرم طلائع المسـلمين النار، تحت الأبواب الشـرقية للمدينة، ورجعوا لكثرة السـهام والحجارة، فأحرقت أبوابها الحديدية، لكن لم يحالفهم الحظ من دخولها ؛ لوجود بناء محكم يعلوه

أبراج عسكرية منيعة، وبعد ذلك يعد القائد المسلم غلام زرافة خطة جديدة نهائية سريعة، تدل على العبقرية العسكرية لديه، تقوم على ربط كل سفينتين معاً، وأقيم عليها برج من الخشب مرتفع، فيه مجموعة من المقاتلين المسلمين، انطلقوا حيث مواضع منخفضة من السور، يعلوهم المقاتلين البيزنطيين؛ لكن وجود هذه الأبراج المصنوعة من الخشب حالت بينم وبين مقاتلين العدو من فوقهم، حتى نشبت بين الطرفين معركة قوية حمى وطيسها، قذف فيه مقاتلو المسلمين العدو بوابل من السهام والحجارة، والنار اليونانية (وعرفت ايضاً بالنار الإغريقية، وهو مركب كيميائي يتكون من النفط والكبريت والقار، كانوا يشعلونه بالنار، ويقذفون به السفن الإسلامية فتشتعل بها النيران) (المصري، د.ت، ٨٦)، التي استخدمت أول مرة في ذلك العصر، فارتد مقاتلين العدو من فوج أبراجهم، وأقتحم المسلمون سور المدينة، وفتحت أبوابها، ودخلوها من جميع النواحي، بسيوفهم حتى فر البيزنطيون ورفاقهم الصقالبة (عنان، ١٩٩٧، ٩٦).

سادساً: نتائج معركة تسالونيكا:

ففتح مدينة (أنطاليا) ومعرفة السر لأهم سلاح بيزنطي كانت تمتلكه قواتهم العسكرية وهو النار الإغريقية الذي كان حجر عثره في المحاولات الإسلامية من أجل فتح القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطيين وكان الفتح الإسلامي بالسيف عنوة (القرطبي، ١٩٦٧، ١١)، وهي نفسها مدينة تسالونيكا ، قتل منهم خمسة آلاف رجل (النويري، ٢٠٠١، ١٦)، وأسر منهم خلقاً كثيراً (الذهبي، د.ت، ٤١٩)، وخلص من أسارى المسلمين أربعة آلاف أسير (ابن كثير، ١٩٨٨، ١١٠)، والرقيق بلغت الستين مركباً (ابن خلدون، ١٩٨٨، ٤٤٥) وغنم العديد من سفن الروم محملة بالأموال والأمتعة (ابن تغري بردي، د.ت، ١٣٢) فكان نصيب المقاتل ألف دينار (ابن العماد الحنبلي، ١٩٨٦، ٣٨٣)، كان من بين الأسرى المؤرخ البيزنطي يوحنا كامنياتس[وهو المؤرخ البيزنطي الذي وقع في الاسر مع أسرته بيد القائد غلام زرافه وقد أطلق سراحه فيما بعد في الفداء بين المسلمين والبيزنطيين] (تدمري، ١٩٩٢، ١٠٦) وأفراد من عائلته، فالتمس الرحمة من المسلمين، مقابل ذلك أن يدلهم على مكان ثروت أسرته، فقادة رئيسهم إلى غلام زرافة، وأرسل معه من الرجال لحمل ذلك الكنز، الذي وجد سليماً لحسن حظ المؤرخ يوحنا كامنياتس فقبل القائد غلام زرافة، ذلك العرض لقاء فداء حياة المؤرخ البيزنطي، وأمر بحمله ومن معه من الأسرى، ليستبدل في مدينة طرطوس مقابل أسرى المسلمين، وغادر القائد غلام زرافة ثغر تسالونيكا محملاً بالغنائم، وكم هائل من الأسرى قدر عددهم المؤرخ يوحنا كامنياتس باثنين وعشرين ألفا، من الرجال والنساء والغلمان، وكان معظم هؤلاء الأسرى من الأغنياء، من أجل فداءهم، وفيهم من الجمال الكثير، لعرضهم في أسواق الرقيق، بأثمان رابحة، ومعهم العديد من أشراف اليونانيين، وأبحر غلام زرافة في سفنه، متجنباً الأسطول البيزنطي، وأستقر في ثغر

إقريطش (أسم جزيرة في بحر المغرب يقابلهـا من بر إفريقية لوبيا، وهـي جزيرة كبيرة فيهـا مدن وقرى، ينسب إليهـا جماعة من العلماء، غزاهـا المسلمون في أيام معاوية بن أبي سفيان وفتح بعضهـا وأغلق في أيام الوليد بن عبد الملك وفي خلافة هـارون الرشيد فتح بعضهـا، حتى فتحت جميعهـا في خلافة المأمون بن هـارون الرشيد سنة (٢١٠هـ/ ٨٢٥م) (الحموي، ١٩٩٥، ٢٣٦)، عدة أيام لتوزيع الغنائم، وتفرقت السـفن التي كانت تحت قيادته، وانطلقت كل مجموعة إلى سواحلها في مياه مصر والشام، وعلى أثر ذلك شهدت الساحة السياسية للدولة البيزنطية خلافات وصـراعات حربية مع البلغار، حين تولى السـلطة قسـطنطين السـابع وجينيتوس ثم من بعدهم رومانوس الأول ليكابينوس [هو امبراطور بيزنطي واصـبح قائد للبحرية البيزنطية وحكم فيما بعد كإمبراطور بيزنطي] (فرج، ١٩٩١، ١١٩) مما أضـعف جهودهم العسـكرية حتى جعلهم غير قادرين على القيام بعمليات عسكرية صـوب العرب المسـلمين لأنهم كانوا مشـغولين بحروبهم مع الدولة البلغارية ومقابل هذا لم تسـطيع القوات العربية الإسـلامية في الهجوم على الدولة البيزنطية على الرغم من انشـغالهم بحروبهم مع البلغار، لأن دولة بني العباس في ذلك الوقت كانت تعاني من الضـعف الشـديد وفقدان السـيطرة على العديد من الأقاليم التي أرادت الانفصـال عن جسـد الدولة وتكوين لنفسـها دول مسـتقلة عن الحكم العباسـي ، وبعد ذلك واصـل القائد غلام زرافة الأبحار إلى طرابلس في السـنة نفسـها، التي كانت القاعدة العسـكرية للفداء وتبادل الأسـرى بين الطرفين الإسـلامي والبيزنطي، عند اللامس ويكون الروم البيزنطيين في سفنهم والعرب المسلمين في البر ويتفادون الطرفين وهنالك تمت عملية الاسـتبدال لأشـراف مدينة تسـالونيكا وكان من ضمنهم المؤرخ البيزنطي كامنياتس وحضر هذا الفداء الكثير من أهالي الثغور والأمصار والعرب المسـلمين مجهزين بالعدد والأسـلحة والخيول، على أن تأتي السـفن البيزنطية بأفضـل حال من ناحية الزي وغير ذلك ومعهم الأسرى العرب المسلمين، ويكون المسلمون في الجهة الشرقية من النهر والروم البيزنطيين في الجهة الغربية للنهر، ويمد جسران للرفين لتكون عليه عملية التبادل ، لكن لم تتم عملية التبادل لكون الروم البيزنطيين قد غدروا ورجعوا إلى أماكنهم ، مما أضـطر العرب المسـلمين إلى الرجوع ومعهم قسـم من أسـارى الروم البيزنطيين حتى عرف هذا الفداء في تلك الفترة بفداء الغدر لكون الروم غدروا المسـلمين خلال خلافة المكتفي بالله العباسـي (عنان، ١٩٩٧، ٩٥).

الخاتمة:

لقد أسفر البحث عن مجموعة من النتائج التالية:-

١- لم يذكر أسم القائد غلام زرافة في جميع المصادر التي كانت في متناول اليد بشكل مفصل.

٢- ولد من أبويين يدينان الدين المسيحي، ولم تذكر المصادر معلومات عنه وعن أسرته أكثر من ذلك.

٣- أعتنق الإسلام في وقت مبكر من عمره، ورحل إلى البلاد الإسلامية وبالتحديد في مدينة طرابلس الشامية.

٤- تعلم الحربية وركوب السفن الإسلامية، وشارك المسلمين في حملاتهم ضد الروم.

٥- أصبح من القادة البحريين المشهورين أيام الدولة العباسية الذي واصل نشاطه العسكري ضد الأسطول البيزنطي.

٦- أنتقل إلى مدينة طرابلس التي تعد من المراكز المهمة والمتقدمة في قتال البيزنطيين، حتى عرف بصاحب طرابلس.

٧- أصبحت مدينة طرطوس قاعدة بحرية له ولرجاله ولسفنه يبحر منها تجاه الثغور الرومية.

٨- نجح بقيادة معركة تاريخية في البحر، عرفت باسم تسالونيكا: وهي نفسها مدينة أنطاكية التي تعد من أعظم الثغور الرومية، بعد مدينة القسطنطينية وفتحها في سنة (٢٩١هـ / ٩٠٤م) في خلافة المكتفي بالله العباسي.

٩- حقق نصر كبير يضاف لتاريخ الأسطول البحري الإسلامي في الجانبين الحربي والمعنوي عندما تمكن من فتح أحد أكبر المدن البيزنطية بعد القسطنطينية وأنتصر على قواتها العسكرية وغنم منهم الكثير، مما تركت أثرًا كبيرًا في نفوسهم وعلى حامياتهم وثغورهم على طول الساحل البحري للبحر المتوسط، وبهذا النصر العظيم اللبحار الإسلامي غلام زرافة قد حقق في هذه الحملة العسكرية مالم يتمكن تحقيه ممن سبقوه من القادة البحريين.

١٠- يعد البحر المتوسط هو ميدان البحرية العربية الإسلامية الأهم لعملياتها العسكرية وأن الكثير من الجزر الموجودة في هذا البحر هي أهم المقاصد البحرية تترجم ذلك بالنصر الكبير للمسلمين على أعدائهم الروم البيزنطيين في معركة تسالونيكا في سنة (٢٩١هـ/ ٩٠٤م) أيام الخلفاء العباسيين.

١١- أثبتت الدراسة العبقرية العسكرية للقادة والأمراء المسلمين اختيار أفضل المناطق الملائمة لتحرك أسطولهم البحري بسرعة لصد الهجمات المتكررة على حدود سواحل الدولة العربية الإسلامية وأن أهم ما غنم به البحارة غلام زرافة هو معرفة سر السلاح البيزنطي وهي النار

الإغريقية فضلًا عن الأموال وغنائم والأعداد الكثيرة من الأسرى الذين جلبوا الفائدة للمسلمين في عملية تبادل الأسرى.

١٢- فرضت السيادة للقوات البحرية الإسلامية في بحر الروم واستمرت لفترات طويلة من الزمن.

المصادر والمراجع:

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٩٥٩) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة.

ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (د.ت). بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري أبو الفلاح (١٩٨٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت.

ابن تغري بردي، يوسف بن عبدالله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (د.ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن جابر (١٩٨٨). العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار بيروت، بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (١٩٨٨). البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، د. م.

الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي (١٩٩٥). معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (د.ت). العبر في خبر من غبر، تحقيق، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

العليم، محمود عبد (١٩٤٨). تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لأبن كثير، دار الدعوة، الإسكندرية.

العمري، شهاب الدين، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي. (٢٠٠٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

العدوي، إبراهيم احمد (١٩٦٥). الدولة الإسلامية والامبراطورية الرومانية، دار الانجلو المصرية، القاهرة.

القرطبي، عريب بن سعد (١٩٦٧). صلة تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (٢٠٠١). نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (د.ت). آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د، ت.

المصري، أبو سعيد (د.ت) الموسوعة الموجزة للتاريخ الإسلامي، د. م.

تدمري، عمر عبدالسلام، (١٩٩٢). لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية، تحقيق جروس يرس، لبنان.

عريشي، يحيى بن أحمد (٢٠٠٤) أثر التوجيه الشرعي في الدلالة اللغوية لبعض المناهي اللفظية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة.

عنان، محمد عبدالله (١٩٩٧). مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط٥، د. م.

فرج، وسام عبدالعزيز (١٩٩١). الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس الابعاد الدينية والدلالة السياسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

Sources and references:

Al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir. (1959) the history of the messengers and Kings, the investigation of Muhammad Abu al-F
adl Ibrahim, Vol.2, Dar Al-Maarif, Cairo.

Ibn al-Adim, Umar ibn Ahmad ibn Hibat Allah ibn Abu Jarada Al-Uqaili (d.C). In order to order in the history of Aleppo, the investigation of Sahil Zakar, the House of thought.

Ibn al-Imad al-Hanbali, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad al-Akri Abu Al-Falah (1986) gold nuggets in Akhbar from gold, investigation of Mahmoud al-arnawut, Dar Ibn Kathir, Beirut.

The son of taghri Bardi, Yusuf bin Abdullah Al-Dhaheri Hanafi Abu al-Mahasen Jamal al-Din (d.C). The rising stars of the Kings of Egypt and Cairo, House of books, Cairo.

Ibn Khaldun, Abdul Rahman Bin Muhammad bin Jaber (1988). The lessons and Diwan of the debutant and the news in the history of the Arabs, the Ajam, the Berbers and those of their contemporaries of the greatest importance, the investigation of Khalil Shehadeh, Vol.2, Beirut House, Beirut.

Ibn Kathir, Abu al-Fida 'Ismail ibn' Umar al-Qurashi al-Basri Al-damashqi (1988). The beginning and the end, the investigation of Ali Sheri, the House of revival of Arab heritage, Dr. M.

Al-Hamawi, Abu Abdullah Shahab al-Din Yaqut bin Abdullah al-Rumi (1995). Gazetteer of countries, Sader House, Beirut.

Al-dhahabi, Abu Abdullah Shams al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman bin qaimaz (d.C). The lessons in Khobar from ghobar, an investigation, Abu Hagar Muhammad Al-Said Bin Bassiouni Zaghloul, House of scientific books, Beirut.

Al-Alim, Mahmoud Abd (1948). An introduction to the places mentioned at the beginning and the end of Ibn Kathir, Dar Al-Da'wa, Alexandria.

Al-Adawi, Ibrahim Ahmed (1965). The Islamic State and the Modern Empire, Anglo-Egyptian House, Cairo.

Al-Umari, Shahab al-Din, Ahmad ibn Yahya Ibn Fadl Allah al-Qurashi Al-Adawi. (2002) visual tracts in the kingdoms of the empire, cultural complex, Abu Dhabi.

Al-Qurtubi, Arib bin Saad (1967). Link to the history of Tabari, Heritage House, Beirut.

Al-Nuwayri, Ahmed bin Abdulwahab bin Mohammed bin abdulwadeem al-Qurashi Al-Timi Al-Bakri (2001). The end of the week in Literary Arts, National House of books and documents, Cairo.

Al-Qazwini, Zakariya ibn Muhammad ibn Mahmud (d.C). Antiquities of the country and news of worshipers, Sadr House, Beirut, DT.

Al-Masri, Abu said (D.C) The Concise Encyclopedia of Islamic history, d. M.

Tadmuri, Omar Abdel Salam, (1992). Lebanon from the Abbasid state until the fall of the Ikhshidid state, edited by Gross Yerse, Lebanon.

Arishi, Yahya bin Ahmed (2004) the impact of Sharia guidance on the linguistic significance of certain verbal endings, Islamic University of Madinah, Madinah.

Faraj, Wissam Abdulaziz (1991). The Fourth Flower of Emperor Leo VI, Religious Dimensions and Political Significance, University Knowledge House, Alexandria.